غرور الكفار فمنهم من غرتهم الحيوة الدنيا ومنهم من غرهم بالله الغرور اما الذين غرتهم الحيوة الدنيا فهم
الذين قالوا النقد خير من النسيئه والدنيا نقد والاخره نسيئه فاذا هي خير ولا بد من ايثارها وقالوا اليقين
خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الاخره شك فلا نترك اليقين بالشك وهذه اقيسه فاسده
تشبه قياس ابليس حيث قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والى هولا الاشاره بقوله
تعالى الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخره فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وعلاج هذا الغرور اما
بتصديق الايمان واما بالبرهان اما التصديق بمجرد الايمان فهو ان يصدق الله تعالى في قوله وما عند الله
خير وابقى وقوله تعالى والاخره خير وابقى وبقوله تعالى وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور وقوله تعالى لا تغرنكم الحيوة
الدنيا وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك طوايف من الكفار فقلدوه وصدقوه وامنوا به ولم يطالبوه
بالبرهان ومنهم من قال نشدتك الله ابعثك الله رسولا فيقول نعم فيصدق وهذا ايمان العامة وهو يخرج من
الغرور وينزل هذا منزلة تصديق الصبي والده في ان حضور المكتب خير من حضور اللعب مع انه لا يدري وجه كونه
خيرا واما المعرفه بالبيان والبرهان فهو ان يعرف وجه فساد القياس الذي نظمه في قلبه الشيطان فان
كل مغرور فلغروره سبب وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع في النفس ويورث السكون
اليه وان كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بالفاظ العلماء فالقياس الذي نظمه الشيطان فيه اصلان
احدهما ان الدنيا نقد والاخره نسيئه وهذا صحيح والاخر قوله ان النقد خير من النسيئه وهذا محل التلبيس
فليس الامر كذلك بل ان كان النقد مثل النسيئه في المقدار والمقصود فهو خير وان كان اقل منه فالنسيئه خير فان كان هذا
الكافر المغرور يبذل في تجارته درهما ليأخذ عشره نسيئة ولا يقول النقد خير من النسيئه فلا اتركه واذا حذره
الطبيب الفواكه ولذايذ الاطعمه ترك ذلك في الحال خوفا من الم المرض في المستقبل فقد ترك النقد ورضي بالنسيئه
والتجار كلهم يركبون البحار ويتعبون في الاسفار نقدا لاجل الراحة والربح نسيئة فان كان عشرة في ثاني الحال خيرا من
واحد في الحال فانسب لذة الدنيا من حيث مدتها الى مدة الاخرة فان اقصى عمر الانسان مائة سنة
وليس هو عشر عشير جزء من الف الف جزء من الاخره فكانه ترك واحدة ليأخذ الف الف بل ليأخذ ما لا نهاية
له ولا حد له وان نظر من حيث النوع راى لذات الدنيا مكدرة مشوبة بالمنغصات ولذات الاخره صافيه غير مكدره
فاذا قد غلط في قوله النقد خير من النسيئة وهذا غرور منشاه قبول لفظ عام مشهور اطلق واريد به خاص
فغفل المغرور عن خصوص معناه فان من قال النقد خير من النسيئة اراد به خير من نسيئه هو مثله وان لم يصرح به
وعند هذا يفزع الشيطان الى القياس الاخر وهو ان اليقين خير من الشك والاخره شك وهذا القياس اكثر فسادا
من الاول لان كلا اصليه باطل اذ اليقين خير من الشك اذا كان مثله والا فالتاجر في تعبه على يقين وفي ربحه على
شك والمتفقه في اجتهاده على يقين وفي ادراكه رتبة العلم على شك والصياد في تردده في المقتنص على
يقين وفي الظفر بالصيد على شك وكذلك الحزم داب العقلا فكل ذلك ترك لليقين بالشك ولكن التاجر يقول

ان لم اتجر

191

ان لم اتجر بقيت جايعا وعظم ضرري وان اتجر كان تعبي قليلا وربحي كثيرا وكذلك المريض يشرب الدواء
البشع الكريه وهو من الشفا على شك ومن مرارة الدوا على يقين ولكن يقول مرارة الدوا قريب
بالاضافه الى ما اخافه من المرض والموت فكذلك من شك في الاخره فواجب عليه بحكم الحزم ان يقول
الصبر ايام قلايل وهو منتهى العمر قريب بالاضافه الى ما يقال من امر الاخرة فان كان ما قيل فيه كذبا فما يفوتني الا
التنعم ايام حياتي وقد كنت في العدم من الازل الى الان لا اتنعم فاحسب اني بقيت في العدم وان كان ما قيل صدقا
فابقى في النار ابد الاباد وهذا لا يطاق ولذلك قال علي رضي الله عنه لبعض الملحدين ان كان ما قلت
حقا فقد تخلصت وتخلصنا وان كان ما قلناه حقا فقد تخلصنا وهلكت وما قال هذا عن شك منه في الاخره
ولكن كلم الملحد على قدر كلامه وهو ان الاخره شك فهو ايضا خطا بل ذلك يقين عند المومنين وليقينه مدركان
احدهما الايمان والتصديق تقليدا للانبيا عليهم السلام والعلما وذلك ايضا يزيل الغرور وهو مدرك
يقين العوام واكثر الخواص ومثالهم مثال مريض لا يعرف دوا علته وقد اتفق الاطبا واهل الصناعه من عند
اخرهم على ان دواه النبت الفلاني فانه تطمئن نفس المريض الى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين
الطبية بل يثق بقولهم ويعمل به وان بقي سواديا او معتوها يكذبهم بذلك وهو يعلم بالتواتر وقراين الاحوال
انهم اكثر منه عددا واغزر منه فضلا واعلم بالطب منه بل لا علم عنده بالطب فيعلم كذبهم في قولهم ولا يعتقد
كذبهم بقولهم ولا يغتر في علمه بسببه ولو اعتمد قوله وترك قول الاطبا كان معتوها مغرورا فكذلك من نظر
الى المقرين بالاخرة والمخبرين عنها والقايلين بان التقوى هو الدوا النافع في الوصول الى سعادتها وجدهم خير
خلق الله تعالى واعلاهم رتبة في البصيرة والمعرفة والعقل وهم الانبيا والاوليا والحكما والعلما واتبعهم عليه
الخلق على اصنافهم وشذ منهم احاد من البطالين غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم الى التمتع فعظم عليهم
ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بانهم من اهل النار فجحدوا الاخرة وكذبوا الانبيا عليهم
السلام فكما ان قول الصبي وقول السوادي لا يزيل طمانينه القلب الى ما اتفق عليه الاطبا فكذلك قول هذا
الغبي الذي استرقته الشهوة لا يشكك في صحه قول الانبيا والعلما وهذا القدر من الايمان كاف لجميع الخلق
وهو يقين جازم يستحث على العمل لا محاله والغرور يزول به ان شا الله تعالى واما المدرك الثاني لمعرفه الاخره
فهو الوحي والالهام للانبيا عليهم السلام والالهام للاوليا رضي الله عنهم ولا تظن ان معرفه النبي صلى الله عليه وسلم
لامر الاخرة ولامور الدين تقليد لجبريل عليه السلام بالسماع منه كما ان معرفتك تقليد للنبي عليه السلام
حتى تكون معرفتك كمعرفته وانما تختلف المقلد فقط هيهات فان التقليد ليس بمعرفه بل هو اعتقاد
صحيح والانبيا عليهم السلام عارفون ومعنى معرفتهم انه كشف لهم حقيقه الاشيا كما هي عليه فشاهدوها
بالبصيرة الباطنة كما تشاهد انت المحسوسات بالبصيرة الظاهرة فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد
وذلك بان يكشف لهم عن حقيقة الروح وانه من امر الله تعالى الامر الذي يقابل الخلق لان ذلك الامر كلام والروح ليس